مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (١) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (1) 2026

سياسات لويس الرابع عشر الداخلية والخارجية وانعكاسها على أطماعه في أوروبا (١٦٦١-١٧١٥م)

* ا.د. أيمن علي صلاط
** عاطف خزامة

(تاريخ الإيداع ٩/٢٥ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ١/٧ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث سياسة الملك لويس الرابع عشر وصراعه مع أوروبا، ويمتاز عهد لويس الرابع عشر بسياسته الداخلية التي قام بتنفيذها عدد من الوزراء أمثال مازاران وكولبير، ولا بد من الإشارة إلى طبيعة السلطة الملكية المطلقة للملك، فقد عمل على تجميع كافة السلطات بيده، بناءً على الحق الإلهي؛ فالسلطة مستمدة من الله، وبناء على ذلك وجه سياسته للقيام بإصلاحات داخلية لتنظيم شؤون البلاد، أما على الصعيد الخارجي، فقد سعت فرنسا تحت حكم لويس الرابع عشر إلى توسيع نفوذها في القارة الأوروبية سواء لأسباب وراثية أم بدوافع سياسية واقتصادية وعسكرية، بما يعكس طموحات الملك في جعل فرنسا القوة المهيمنة على الشؤون الأوروبية، وقد أسفرت هذه السياسة عن صراعات مستمرة مع القوى الكبرى آنذاك مثل إسبانيا وهولندا وغيرها، مما أثر تأثيراً مباشراً في التوازن الأوروبي وأسهم في إعادة تشكيل التحالفات السياسية والعسكرية في القارة الأوروبية، كما يبرز البحث التفاعل الوثيق بين الإصلاحات الداخلية والسياسات الخارجية في تعزيز مكانة فرنسا كدولة مركزية قوية، ويظهر كيف ساعدت هذه السياسات على تحقيق أهداف الملك التوسعية، مما جعل عهد لويس الرابع عشر فترة مفصلية في تاريخ أوروبا السياسي والعسكري والاقتصادي.

كلمات مفتاحية: فرنسا – لويس الرابع عشر– السياسة الداخلية– الحروب الأوروبية– صلح أوترخت.

* أستاذ التاريخ الأوربي في جامعة اللاذقية
**طالب الدكتوراه تاريخ حديث ومعاصر

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (١) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (1) 2026

Louis xIv Domestic and foreign Policies and their impact on His ambitions in Europe (1661-1715 AD)

***Prof.Dr.Ayman Ali salat**
****Atef khozama**

(Received 25/9 /2025. 7 /1/2026)

□ ABSTRACT□

This research examines the policies of king Louis XIV, and his conflicts with Europe, Louis XIV reign is characterized by his domestic policies, implemented through ministers such as Mazarin and Colbert, it is essential to note the absolute nature of the kings power, as he concentrated all authority in his own hands based on the divine right of kings, believing that power was derived from God, accordingly he directed his policies toward internal reforms to organize the affaires of the country, Externally, under Louis XIV, France sought to expand its influence on the European continent, whether for hereditary reasons or for political, economic, and military motives.

This reflected the kings ambitions to make france the dominant power in European affairs, this policy resulted in continuous conflicts with the major powers of the time, such as Spain and the Netherlands, which directly affected the European balance of power and contributed to the reshaping of political and military alliances on the continent, the research also highlights the close interaction between internal reforms and foreign policies in strengthening frances position as a powerful central state, and shows how these policies helped achieve the kings expansionist goals, making Louis XIV reign apivotal period in the political, military, and economic history of Europe.

Key words: France – Louis XIV – Domestic policy – European wars – peace of Auvergne.

* professor of European History at Lattakia University
**Phd student: modern and contemporary history.

المقدمة:

كانت فرنسا في بداية القرن السادس عشر من أقوى الدول الأوروبية، ولكنها انشغلت في النصف الأول من هذا القرن بالحروب الايطالية في عهد شارل الثامن، وفي بداية القرن السابع عشر انتقل العرش الفرنسي إلى لويس الثالث عشر ابن الملك هنري الرابع فأصبحت والدته ماري مديتشي (Marie Médicis) وصيةً عليه، لكن انفرادها بالسلطة واستبدادها وتقربها من العدوة اللدودة لفرنسا وهي اسبانيا، دفع ابنها لإبعادها عن العرش واستلام السلطة بنفسه، حيث قام بتعيين الكاردينال ريشيلو (Richelo) وزيراً أول.

سعى ريشيلو بكل ما يستطيع حتى يحقق عظمة فرنسا وتكون ملكيتها قوية في الداخل والخارج، وبعد وفاته عين الكاردينال مازاران (Mazarin) مكانه، ولكن وفاة الملك لويس الثالث عشر نقل الملكية إلى ابنه لويس الرابع عشر الذي كان صغيراً في السن فتولت أمه الملكة آن (Anne) النمساوية الوصاية على العرش حتى يكبر ابنها ويصبح بإمكانه إدارة المملكة، وقد تعاونت الملكة آن مع مازاران على حكم فرنسا ومنحته كل ثقتها، ولكن مازاران لم يكن على قدر المسؤولية من خلال سياساته المالية التي أغضبت الشعب وجعلته ينتفض على حكمه وملكته آن في ثورة عام ١٦٤٩م، فيما عرف بثورة الفروند الأولى، إلا أن سياسات مازاران الاقتصادية كان ما أفرزت ثورة الفروند الثانية عام ١٦٥٢م، مما مهد الطريق لتنصيب لويس الرابع عشر ملكاً، وقد ساعدته الكنيسة في إعطاء لويس السلطة المطلقة على الشعب الفرنسي أي أن يقوم الملك بعمله لتحسين أوضاع رعيته وإسعادهم بغية الصالح العام للمسيحيين في المملكة الفرنسية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث من خلال عدة جوانب أكاديمية وتاريخية:

١-فهم التحولات السياسية الأوروبية: يسلط البحث الضوء على عهد الملك لويس الرابع عشر، كمرحلة محورية في تاريخ أوروبا الحديثة، حيث أسست فرنسا نموذج الملكية المطلقة، وأدى ذلك إلى تغييرات كبيرة في التوازن السياسي والعسكري بين الدول الأوروبية.

٢-تحليل العلاقة بين السلطة الداخلية والسياسة الخارجية: يقدم البحث رؤية شاملة لكيفية تأثير الإصلاحات الداخلية على القدرة التوسعية للدولة، ويبين العلاقة بين تعزيز السلطة الملكية المطلقة وتنفيذ السياسات الخارجية الطموحة، وهو محور لم يلق الاهتمام الكافي في الدراسات السابقة.

٣-إثراء الدراسات التاريخية حول فرنسا: يساهم البحث في فهم دور لويس الرابع عشر ووزرائه مثل مازاران وكولبير في بناء الدولة المركزية، وتوضيح الإستراتيجيات التي اتبعت لتحقيق الهيمنة الفرنسية في أوروبا، مما يوفر مادة أكاديمية قيمة للباحثين في التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي.

٤-الاستفادة في دراسة التوازن الأوروبي والصراعات الدولية: من خلال دراسة الحروب والصراعات التي خاضها لويس الرابع عشر، حيث يقدم البحث تحليلاً للعوامل المؤثرة في التوازن الأوروبي خلال القرن السابع عشر، وهو يساعد في فهم جذور التحولات الكبرى في العلاقات الدولية الأوروبية لاحقاً.

هدف البحث:

هدف البحث لمعرفة الصلة بين الإصلاحات الداخلية التي قام بها وزراء لويس الرابع عشر، ورغبته في التوسع على حساب الدول الأوروبية الأخرى، مما مهد لسلسلة حروب في القارة الأوروبية خاضتها فرنسا لتحقيق أطماع لويس الرابع عشر.

إشكالية البحث:

إن دراسة سياسة لويس الرابع عشر الداخلية والخارجية وانعكاسها على أطماعه في أوروبا (١٦٦١-١٧١٥م) تدفع البحث لطرح التساؤل الآتي:

ما هي طبيعة سياسات لويس الرابع عشر الخارجية تجاه القوى الأوروبية، وتتفرع عنه التساؤلات الآتية:

١- ما هي الأحوال الراهنة في فرنسا داخلياً والتي مهدت للصدام مع أوروبا وسلطة الكنيسة؟

٢- ما هي الأسباب التي دفعت لويس الرابع عشر إلى الصدام مع أوروبا؟

٣- كيف أثرت السياسة الخارجية للملك لويس الرابع عشر في جعل فرنسا مركز قوة أوروبياً؟

٤- ما هو رد فعل الدول الأوروبية على سياسات لويس الرابع عشر التوسعية (المعاهدات والأحلاف)؟

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث المنهج الوصفي، من خلال وصف الأوضاع الداخلية والإصلاحات التي قام بها وزراؤه، ثم الانتقال إلى المنهج الاستقرائي لإبراز تنظيم الوضع الداخلي لفرنسا الذي قام به الملك لويس الرابع عشر والاستفادة من هذا الوضع لتحقيق أطماعه التوسعية على الساحة الأوروبية؛ وذلك بالرجوع لكافة المصادر والمراجع الخاصة بالبحث.

- لويس الرابع عشر (١٦٣٨-١٧١٥) ملك فرنسا:

ولد لويس الرابع عشر في ٥ أيلول عام ١٦٣٨م لكنه لم يكن فرنسياً خالصاً؛ فهو ربع فرنسي نسبة إلى والده ونصف اسباني لأمه الملكة آن النمساوية[١] Anne Austria (١٦٠١- ١٦٦٦م)، لذلك كان يمتاز بالتدين والكبرياء، والربع الباقي ايطالي من ناحية جدته ماري مديتشي[٢] Marie de Médicis (١٥٧٣-١٦٤٢م) لذلك كان مولعاً بالفن الايطالي سمي عند ولادته ديودونيه Dieudonné أي (عطية الله)، أثر على نموه وتطوره الخلافات بين والديه وموت أبيه المبكر والأحداث الداخلية في فرنسا من ثورات الفروند[٣] الطويلة، فقد لقي الإهمال رغم محاولات والدته ووزيرها جول مازاران[٤] Jules Mazarin الاحتفاظ بالسلطة، ولم يهتم أحد بتعليمه وحين تولاه المدرسون الخصوصيون كان جل اهتمامهم منصباً على إقناعه بأن فرنسا هي ميراثه الذي سيحكمه بالحق الإلهي ولا يسأل عنه إلا أمام الله، ودربته أمه على العقيدة الكاثوليكية، ورغم أنه لم يظهر ميلاً للكتب إلا أنه قدر الأدب بكل صدق، ولكن

---

[١] آن النمساوية: ملكة فرنسا بوصفها زوجة لويس الثالث عشر، حكمت فرنسا كوصية على ابنها بين عامي ١٦٤٣-١٦٦١م بوصفها وصية على ابنها لويس الرابع عشر. البعلبكي، (منير)، ١٩٩٢م، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ص١٢.

[٢] ماري مديتشي: أميرة ايطالية ابنة غراندوق توسكانيا تزوجها الملك هنري الرابع عام ١٦٠٠م، فأصبحت ملكة فرنسا وعندما اغتيل زوجها عام ١٦١٠م أعلنها برلمان باريس وصية على عرش ابنها لويس الثالث عشر. البعلبكي، منير، ١٩٩٢م، ط١، مرجع سبق ذكره، ص٤٠٧.

[٣] وهي الثورة التي قام بها الشعب الفرنسي الذي أرهق من شدة الضرائب والإجراءات المالية كون فرنسا صرفت أموالها في الحروب الخارجية، وفي الأمور التي تعمل على تقوية الملكية الفرنسية في الداخل، فأحدثت ضرائب جديدة، وبيعت الوظائف والألقاب وكثرت استدانة الدولة من الأغنياء، فكانت هذه الأعمال قد زادت في بؤس الشعب الفرنسي، وأدت إلى حرب الفروند. أبو علية، عبد الفتاح و ياغي، اسماعيل أحمد: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، ط٣، ١٩٩٣م، ص١٨٠.

[٤] مازاران: كاردينال فرنسي ايطالي المولد كبير وزراء لويس الرابع عشر حارب النبلاء الثائرين على العرش معززاً بذلك سلطة الملك عندما كان الملك صغيراً وأنقذ الدولة من أعدائها الخارجين جاعلاً من فرنسا أقوى دولة في القارة الأوروبية. البعلبكي، منير، (١٩٩٢م)، ط١، مرجع سبق ذكره، ص٤٠٨.

بعد وفات مازاران أقبل رؤساء الإدارات على لويس ليسألوه ممن يأخذون التعليمات فأجاب بشكل قاطع L` État c`est moi(الدولة هي أنا). ومنذ عام ١٦٦١م أصبح لويس الرابع عشر ملك فرنسا بدون وصاية.[١]

أعلن لويس الرابع عشر أنه يحكم البلاد ويدير السياسة الداخلية والخارجية لوحده، وكان رجلاً أنيقاً ومهاباً يطبق الملكية المطلقة المستندة على الحق الإلهي، وقد لقب بالملك الشمس (Roi– soliel) لأنه طبق كل ما يدعيه[٢]، لقد تدرب لويس الرابع عشر على شؤون الحكم منذ أن كان في السادسة عشرة من عمره لذلك كان له دراية في الحكم والجيش والسياسة الخارجية، وقد كان مقتنعاً بأنه حصل على التاج بحق إلهي، فهو يستطيع أن يفعل ما يريد وهو يمثل الله في البلاد، لذلك كان ينظر للملك كأنه عمل يريد أن يعرف ما يجري في مملكته، وأن يرى كل شيء بنفسه، وكان يقضي صباح ومساء كل يوم لدراسة شؤون المملكة وفحصها واتخاذ القرارات فيها، فكانت حكومته مركزية، ورغم وجود مستشارين ووزراء له في كافة شؤون الحكم، لكن لا يستطيع أياً منهم اتخاذ قرار من دون عرضه على الملك؛ أما بالنسبة إلى الأقاليم فقد زاد سلطة مراقبيه ومفتشيه حتى أصبحوا مراقبين شخصيين له كل في مقاطعته ويأتمرون بأمره، وبقي النظام الذي وضعه لويس الرابع عشر معمولاً به في فرنسا حتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.[٣]

-السياسة الداخلية للملك لويس الرابع عشر:

١- **التنظيم الإداري:** استلم لويس الرابع عشر مملكته وجعل الإدارة فيها مركزية، حيث أنشأ العديد من الوزارات كالمالية والبحرية والجيش والإدارة العامة، وكانت مهمة هؤلاء الوزراء تنفيذ السياسة التي يقرها هو، كما نظم السلك الدبلوماسي والجيش وعمل على إصلاح مالية الدولة، وكان هؤلاء الوزراء يتبع لهم المساعدون وأمناء السر في العاصمة، أما في المقاطعات فكان هناك الحكام والموظفون، وهؤلاء كانت مهمتهم إعداد التقارير وإرسالها إلى الملك، وأعطى النبلاء الوظائف في العاصمة ولكن من دون نفوذ بغرض إضعاف سلطتهم، وزاد من سلطة حكام المقاطعات على حساب مجالس البلدية والإدارة فكان الحكام مسؤولين عن مالية المقاطعات الخاضعة لهم وزراعتها وصناعتها، والإدارة والقضاء والنظام والأمن، وكان الملك هو من يعين هؤلاء الموظفين ويخضعون لأوامره، ولقد عمل الملك على تنظيم أجهزته الحكومية وتقويتها وتحسينها وتسهيل أمورها.[٤]

أمر الملك لويس الرابع عشر بتنقيح القوانين، فقد فاقت أرقى القوانين في أوروبا ، وقد ظلت هذه القوانين التي تعرف بقوانين لويس الرابع عشر (١٦٦٧-١٦٧٣م) سارية المفعول في فرنسا حتى وضع نابليون بونابرت قوانين بديلة عنها في عام ١٨٠٤م، وهي مجموعة من الشرائع المحكمة الوضع تناولت الإجراءات المدنية والجنائية والتجارة البحرية وزنوج المستعمرات، فتشريع ذلك العصر له أهميته، فهو أول خطوة مهمة نحو وحدة فرنسا التشريعية، ووضع الخطوط الرئيسة التي لا تزال الإجراءات في محاكم فرنسا تسير بمقتضاها، ولكن كولبير (Colbert) لم ينجح في جمع

---

[١] ديورانت، (ول وايريل)، ١٩٦٣م، قصة الحضارة عصر لويس الرابع عشر ١٦٤٨-١٧١٥، الجزء الأول من المجلد الثامن، ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة علي أدهم، دار الجيل، بيروت، ص٢١-٢٢.

[٢] صالح، (محمد محمد)، ١٩٨١م، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠- ١٧٨٩، جامعة بغداد، العراق، ص٣٢٥.

[٣] يحيى، (جلال)، ١٩٨١م، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ص٥٦-٥٧.

[٤] صالح، محمد (١٩٨١م)، مرجع سبق ذكره، ص٣٢٦-٣٢٧.

الشرائع الفرنسية كلها في دستور واحد، وقد أورث فرنسا فكرة جمع الشرائع، وقد أسهمت هذه القوانين في تقدم الحضارة الفرنسية، فأصبحت باريس متقدمة جداً عن أية مدينة في أوروبا.[١]

كانت الإدارة لشؤون الحكومة بيد رجال من الطبقة الوسطى ممن أثبتوا كفايتهم بالارتقاء إلى مناصبهم، وممن يثق الملك بهم في دعم سلطته المطلقة، فقد اختصت ثلاثة مجالس في تصريف شؤون الحكم يجتمع كل منها مع الملك يعمل في إعداد المعلومات والتوصيات التي يبني عليها الملك قراراته؛ المجلس الأول هو مجلس الدولة، والمجلس الثاني مجلس الرسائل، والمجلس الثالث مجلس المالية، كما اضطلعت مجالس أخرى إضافية بشؤون الحرب والتجارة والدين.[٢]

٢- سياسته الدبلوماسية: نتيجةً لحب لويس الرابع عشر للعظمة وحرصه على المظاهر، فقد وافق على تعيين كبار السادة الفرنسيين في السفارات الرسمية لإشعار البلاد البعيدة بعظمة ذلك الأمير وعظمة دولته، أما في الشؤون العادية كان يثق برجال من النبلاء، ورجال كانوا قد حصلوا في وظائف أخرى على التمرس في الخدمة، فقد كان يرسل إلى الملوك الكاثوليك بعض رجال الكنيسة، أما الخارج فإنه كان يرسل إلى باريس شخصيات من الدرجة الأولى، وفي كل من الاتجاهين كان عدد السفراء الفعليين محدوداً، ففي بداية حكمه كان الملك لا يبادلهم إلا مع إسبانيا وإنكلترا والبندقية والأقاليم المتحدة واقليم سافوا وروما، وكان الكرسي البابوي ممثلاً بشكل دائم بمندوب، وكان لقب الممثل الأجنبي وزير مقيم أو مقيم، أما في البعثات المؤقتة فإنهم يسمون مبعوثين، وهؤلاء كانوا يحضرون من أجل التفاوض باسم الأمراء الايطاليين والأمراء الألمان أو المدن الحرة في ألمانيا، ولقد اعتمدت حكومة لويس الرابع عشر على استخدام المكافآت أكثر من اعتمادها على مواهب دبلوماسييها في الخارج، فقد أصبح معروفاً أن الملك الفرنسي يكافئ بسخاء على تلك الخدمات التي تقدم له، ولذلك فإنه كان يجد وبسهولة الرغبة والاستعداد الذي كان في حاجة إليها.[٣]

٣- سياسته الاقتصادية: كان الاقتصاد الفرنسي ما قبل لويس الرابع عشر متدهوراً ويرزح تحت ديون ثقيلة، حيث لم تتخذ فرنسا إجراءات لتسديد أقساط هذه الديون، ومما زاد الأمر سوءاً أن ضريبة العقارات المفروضة في ذلك الوقت لم تكن تكفي لتسديد الديون وسد الحاجيات المالية للدولة، فاختل بذلك الميزان التجاري الفرنسي، لكن موارد فرنسا المتعددة وكثرة عدد سكانها وطاقاتها الواسعة كانت كفيلة بأن تنهض باقتصادها في مجالي الصناعة والزراعة، ولقد كانت فرنسا من أكبر دول أوروبا القومية من حيث عدد السكان[٤]، هذا الأمر دفع لويس الرابع عشر للاعتماد على رجال دولة أكفاء للقيام بالإصلاحات الداخلية وخاصة المالية، وقد وجد ضالته في جان باتيست كولبير[٥] (Colbert Jean Baptiste) الذي تدرب على يدي مازاران فعينه وزيراً للمالية عام ١٦٦١م، وأول ما فكر فيه كولبير هو يخلص

---

[١] المقرحي، (ميلاد)، ١٩٩٦م، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م، جامعة قار يونس، بنغازي، ط١، ص١٩٩. و فيشر، (هربرت)، ٢٠٠١م، أصول التاريخ الأوروبي الحديث- من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة: زينب راشد وأحمد مصطفى، دائرة المعارف، مصر، ط٣، ص٣٠٣.

[٢] ديورانت، وول (١٩٦٣م)، مرجع سبق ذكره، ص٢٧.

[٣] يحيى، (جلال)، ١٩٨٢م، تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ص٤٥١-٤٥٢.

[٤] راشد، (زينب عصمت)، ٢٠٠٥م، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج١، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٩٥-١٩٦.

[٥] كولبير (١٦١٩-١٦٨٣م): سياسي فرنسي وهو وزير مالية لويس الرابع عشر آمن بأن تدعيم القوة العسكرية يفترض زيادة مواردها فعزز التجارة والصناعة ونظم مالية الدولة، وأصلح نظام الضرائب مسهماً في جعل فرنسا أعظم دولة أوروبية في النصف الثاني من القرن السابع عشر، كما ناصر الأدب والفن. البعلبكي، منير (١٩٩٢م)، مرجع سبق ذكره، ص٣٧٥.

البلاد من حالة الارتباك والفوضى الاقتصادية التي عانتها فرنسا مدة نصف قرن، لذلك وضع للبلاد خطة إصلاحية مالية تؤدي إلى زيادة الثروة القومية عن طريق تنظيم الضرائب، وتنمية الموارد الزراعية والصناعية والتجارية[١]، وقد منع خروج الأموال والنقود من الخروج خارج البلاد، وعمل على جذب الأموال الأجنبية إلى فرنسا من أجل زيادة الموارد لاستخدامه في السياسة العامة للدولة، كما اهتم بالزراعة حيث شجع تربية المواشي، وزراعة الكروم وأشجار التوت لتربية دودة القز[٢]، أما بالنسبة للصناعة فقد اهتم كولبير فيها ويعود له الفضل في جعل فرنسا دولة صناعية كبرى، فعمل على تشجيع الصناعات الموجودة مثل صناعة السجاجيد والمنسوجات والحرير ، وأنشأ صناعات جديدة مثل الزجاج والخشب والصلب، واستقدم عدداً من الفنيين والصناع الأجانب المهرة وبأثمان باهظة، فقد قدم لهم لويس الرابع عشر الأموال اللازمة لإنشاء المصانع وشراء المواد الخام، كما قدم لهم جوائز نقد للعمال المتفوقين، فحول الورشات والمصانع الصغيرة إلى مصانع كبيرة رسمياً، وكان هدف كولبير من هذه السياسة هو منع اعتماد فرنسا على المصنوعات من الخارج أولاً، وجعل الخارج هو من يعتمد على استيراد الصناعات الفرنسية.[٣]

أما بالنسبة إلى التجارة فقد عمل كولبير على تكوين إمبراطورية بحرية فرنسية على غرار هولندا وإسبانيا والبرتغال، فقد أراد إقامة مستعمرات على السواحل المؤدية إلى الهند والشرق الأقصى، وكان له رغبة في ضم مصر إلى فرنسا لضمان الطرق التجارية إلى الهند، والعمل على ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، وأنشأ شركة الهند الشرقية الفرنسية (Compagnie française des Indes Orientales) على غرار إنشاء إنكلترا وهولندا شركات تجارية برؤوس أموال ملكية فرنسية ومشاركة الأمراء أما التجار الفرنسيين فقد أحجموا عن الانخراط في هذا العمل الوطني الضخم، مما أثر في فشل هذا المشروع الذي اقتصر على استخدام التجار للسفن والمراكز الخاصة بالشركة الفرنسية.[٤]

شجع كولبير المصنوعات والمنتجات المحلية وعرقل دخول المتاجر الأجنبية، فقد فرض على السفن الأجنبية ضريبة بينما قدم المساعدات المالية لصنع السفن داخل فرنسا وشحن السفن الفرنسية بالبضائع، قام بفرض ضرائب عالية على المستوردات، واعتقد كولبير بأن للمستعمرات فائدة تجارية مهمة كونها تصبح سوقاً رائجة للبضائع الفرنسية، فقام بشراء جزر المارتنيك وكوادا لوب من جزر الهند الغربية، كما شجع على استيطان الفرنسيين في كندا ولويزيانا في أمريكا الشمالية، وأسس المراكز التجارية في الهند ومدغشقر والسنغال، فحول بذلك فرنسا إلى دولة استعمارية كبرى؛ وبالنسبة إلى التجارة الداخلية في فرنسا فقد عمل على تسهيل انتقال البضائع في مختلف أنحاء البلاد عن طريق تسهيل المواصلات وإلغاء المكوس الداخلية قدر المستطاع على البضائع المنقولة من منطقة إلى أخرى، وأسس المرافئ في طولون وروشفورد وكاليه وبريست وهافر وحصنها.[٥]

٤- سياسته العسكرية (الجيش والبحرية): عهد لويس الرابع عشر ببناء الجيش الفرنسي إلى الجنرال لوتلييه وابنه، وقد أدخل الأساليب الحديثة في إنشاء الجيش الفرنسي عندما قضى على فكرة سائدة من أن ولاء الجنود للنبيل

[١] البطريق، (عبد الحميد) ونوار، (عبد العزيز)، ١٩٩٧م، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٦٤.

[٢] يحيى، جلال (١٩٨١م)، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سبق ذكره، ص٥٨-٥٩.

[٣] يحيى، جلال (١٩٨١م)، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سبق ذكره، ص٥٨.

[٤] نوار، (عبد العزيز) وجمال الدين، (محمود محمد)، ١٩٩٩م، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٧٣-١٧٤.

[٥] صالح، محمد (١٩٨١م)، مرجع سبق ذكره، ص٣٢٩-٣٣٠.

القائد فقط، جاعلاً الترقيات في الجيش تعتمد على الكفاءة والمهارة من دون النظر لعائلاتهم، مما جعل تدريب الجيش تحت إشراف الحكومة فقط، وتحول نظام الجيش من جيش مؤقت إلى جيش نظامي دائم، وبلغ تعداد هذا الجيش في عام ١٧٠١م مئة وخمسة وعشرين ألفاً من المشاة وسبعة وأربعين ألفاً من الفرسان، ووضَعَ نظاماً لتدريب هذا الجيش الدائم وتنظيمه من خلال تنظيم تسلسل القيادة فيه عن طريق قائمة بأقدمية الضباط، ووضعت له الإدارات المختلفة منها للتموين والشؤون الإدارية ومستشفيات الميدان، ووضع الجنرال لوفوا كسوة عسكرية للجنود جميعها، ووُضِعَ نظام دقيق للطاعة من دون اعتراض من الجنود وضباطهم، واهتم بنظام التجنيد على أساس التطوع مقابل الرواتب والخضوع للنظام العسكري، كما أنشأ لوفوا سلاحين جديدين أحدهما المدفعية والثاني المهندسين للاهتمام بالتحصينات على طول الحدود الفرنسية، واشتهر من بين رجاله الجنرال فوبان (Vauban) الذي نمكن من إدخال تعديل على الأسلحة وبخاصة البنادق التي جعلها أقل ثقلاً وأكثر فعالية[١]، فالجيش كان موضوع اهتمامات لويس الرابع عشر جميعها فقد اهتم بشكل خاص بعمليات الهجوم والدفاع عن المدن وهي ما كان يشارك فيها بشكل شخصي؛ وفي عهده تضاعفت أعداد الجيش الفرنسي فقد وصل تعداده إلى مئتين وثمانين ألف جندي، وكان الجيش الفرنسي يضم جنود من جنسيات مختلفة منها السويسريون، وهناك الألمان والدنمارك وهولندا، وايرلندا، والمجر والسويديين.[٢]

أما الأسطول فقد بناه كولبير وابنه، حيث أُنشئ الأسطول الفرنسي نتيجة سياسة كولبير التجارية الخارجية من حيث زيادة عدد السفن الفرنسية من عشرين سفينة عام ١٦٦١م إلى مائة وأربعين سفينة، وبما أن كولبير يؤمن بالارتباط بين البحرية والتجارة والعسكرية، فقد أنشأ إدارة خاصة لها حتى يمكن أن تكمل كل منها الأخرى عند الغزو والاستيلاء الخارجي، وقد كان يوجد أسطولان صغيران إلى جانب الأسطول الذي أنشأه كولبير أحدهما لحماية ميناء مرسيليا ومقره في برست وطولون، والثاني يستخدم للدفاع عن المياه الغربية والشمالية الغربية لفرنسا[٣]، فقد تم إنشاء الأسطول الحربي للمحافظة على خطوط المواصلات مع المستعمرات الفرنسية، وبشكل خاص مع كندا التي كان يرغب في جعلها مقاطعة فرنسية، فقد وضع نظاماً للتجنيد في البحرية وأنشأ صندوقاً لمصابيها ومدرسة لتخريج ضباطها[٤]؛ رغم أهمية الأسطول البحري، والذي شكل ذراع فرنسا الطولى في حملاتها العسكرية، إلا أن الملك الفرنسي لويس الرابع عشر لم يبدِ اهتماماً به مقارنة باهتمامه بالسلاح البري والفرسان.[٥]

٥- **السياسة الدينية:** أراد لويس الرابع عشر انتزاع السلطة الدينية من البابا في فرنسا، فقد دعا لعقد مجمع ديني عام ١٦٨٢م، وبعد اجتماع الأعضاء تقرر تخويل ملك فرنسا الحق في الاستقلال عن سلطة البابا، وأن قرارات البابا لا تسري على الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية، وقد آمن العاهل الفرنسي بأن الوحدة السياسية في فرنسا لا من تتحقق دون قيام الوحدة الدينية، فقد أمل بعودة البروتستانت إلى الكنيسة الكاثوليكية إذا استخدم ضدهم العنف وأبعدهم عن مناصب الدولة العليا، وكان لويس الرابع عشر قد أصدر مراسيم إلغاء التسامح بشكل تام، لذلك حرم البروتستانت من مناصبهم وصادر صحفهم وحول مدارسهم إلى مدارس كاثوليكية.[٦]

---

[١] يحيى، جلال (١٩٨١م)، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سبق ذكره، ص٦٠.

[٢] يحيى، جلال (١٩٨٢م)، تاريخ العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص٤٥٥-٤٥٦.

[٣] نوار، عبد العزيز (١٩٩٩م)، مرجع سبق ذكره، ص١٧٤-١٧٥.

[٤] يحيى، جلال (١٩٨١م)، مرجع سبق ذكره، ص٥٩.

[٥] يحيى، جلال (١٩٨٢م)، مرجع سبق ذكره، ص٤٥٤-٤٥٥.

[٦] مخزوم، (محمد)، ١٩٨٣م، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ص١٩٧-١٩٩.

كان لويس الرابع عشر بحاجة دائمة للمال للإنفاق على البلاط والحروب، وكان رجال الدين الكاثوليك يقدمون له المنح الكثيرة شريطة قبول آرائهم، لذلك تتابعت حملات الاضطهاد الديني ضد البروتستانت والمذاهب الأخرى في فرنسا، فأصبحت الترقية إلى معلمي الحرف الصناعية عسيرة إلا على الكاثوليك، وفي عام ١٦٦٦م حظر على البروتستانت إنشاء كليات جديدة أو الاحتفاظ بمعاهد لتعليم أبناء الأشراف، وفي العام ١٦٧٩م أصدر أمراً بنفي جميع المرتدين عن الكاثوليكية ومصادرة أملاكهم، فهدمت وأغلقت معظم كنائسهم، وفرضت إجراءات قاسية حتى تصبح حياة البروتستانت لا تطاق في فرنسا فيعتنقون العقيدة الكاثوليكية[١]، وكانت نتيجة هذه السياسة الدينية للويس الرابع عشر أن هاجر من فرنسا أكثر من مئتين وخمسين ألفاً من البروتستانت إلى إنكلترا وهولندا وبرندنبرج وغيرها، فكانوا خسارة لفرنسا ومكسباً للدول التي هاجروا إليها، فقد نقلوا إليها كثيراً من الفنون والعلوم والمعارف والصناعات التي كانوا يمارسونها والتي كان معظمها في أيديهم، كما ضعف الجيش والأسطول عندما هجرهما البروتستانت، وهذا الاضطهاد الديني الذي عوملوا به في فرنسا أسهم في إثارة الدول البروتستانتية وشعوبها ضد لويس الرابع عشر.[٢]

- صراع لويس الرابع عشر مع أوروبا:

كانت سياسة لويس الرابع عشر الخارجية تتمثل بالأسس والمبادئ نفسها التي وجهت سياسة فرنسا الخارجية منذ عهد والده وأجداده من قبل، وهذه الأسس والمبادئ: ١- الوصول إلى الحدود الطبيعية لفرنسا وهي البرانس[٣] والألب[٤] والراين[٥]، ٢- القضاء على سيطرة أسرة البيت الإمبراطوري النمساوي [٦] بفرعيها، ٣- ضم الأراضي المنخفضة الإسبانية (بلجيكا)، ٤- رغبة فرنسا بانتزاع السيطرة البحرية من هولندا، ٥- تطهير البحر المتوسط من القراصنة، ٦- تنظيم الإمبراطورية الاستعمارية في البحر المتوسط الشرقي وأفريقيا الشرقية والغربية ثم في أمريكا.[٧]

كان لويس الرابع عشر مهتماً بضمان تفوق فرنسا في أوروبا وعمل على تحقيق ذلك عن طريق الحروب والدبلوماسية، فقد أصبحت فرنسا بسبب انتصارات ريشيلو ومازاران أقوى دولة في أوروبا في منتصف القرن السابع عشر، لأن الإمبراطورية الرومانية المقدسة أوهنها ما أصاب ألمانيا من وهن وانقسام، فضلاً عن الخطر المتجدد عليها من قبل العثمانيين، أما إسبانيا فقد أضعفها دمار الحرب التي خاضتها في الأراضي المنخفضة، وإنكلترا بعد العام ١٦٦٠م ربطتها بفرنسا الأموال السرية لملكها التي كان يقدمها له الملك لويس الرابع عشر، ولكن فرنسا عندما حل عام ١٦٦٧م غدت أمة موحدة، وجراح ثورة الفروند قد شفيت وأعادت بناء جيشها وفق تنظيم عسكري دائم واهتمت بأعمال

---

[١] ديورانت، وول (١٩٦٣م)، مرجع سبق ذكره، ج٣١، ص١١٢-١١٤.

[٢] أبو علية، عبد الفتاح (١٩٩٣م)، ط٣، مرجع سبق ذكره، ص١٨٣.

[٣] جبال البرانس: هي سلسلة جبلية تكون حدوداً طبيعية بين فرنسا وإسبانيا، وتحوي سلاسلها الضيقة الصخور الهرسينية. جودة، (حسنين جودة)، ١٩٩٨م، جغرافية أوروبا الإقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ط١٥، ص١٥٣-١٥٤.

[٤] جبال الألب: سلسلة جبال تؤلف حاجزاً شمال إيطاليا. ريحاني، (ألبرت)، ١٩٥٥م، الموسوعة العربية، دار الريحاني، بيروت، ط١، ص٨٢.

[٥] نهر الراين: يشكل هذا النهر حدود فرنسا مع ألمانيا، وهو يمثل الطريق النهري الرئيسي في أوروبا، وتمتد الطرق والسكك الحديدية المهمة بموازاته. الجمهورية الفرنسية، ٢٠١١م، تقرير مفصل عن فرنسا، ص١١.

[٦] هابسبورغ: الأسرة التي خرج منها البيت الإمبراطوري في النمسا اشتق اسم هابسبورغ من قلعة هابسبورغ في سويسرا. راشد، زينب (٢٠٠٥م)، مرجع سبق ذكره، ص١٧.

[٧] عمر، (عبد العزيز عمر)، ١٩٩٢م، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص٢٦٨.

التحصين وحرب الخنادق والحصار، وحان الوقت لتبلغ فرنسا حدودها الطبيعية في الراين- الألب- البرانس، والبحر، لذلك اختار لويس الرابع عشر أن يبدأ بالراين، لأنه في حال بسطت فرنسا سلطتها على مصاب النهر العظيم الكثيرة دانت لها كل أرض الراين، وبسطت سلطانها على نصف التجارة الألمانية، ولكن الأراضي المنخفضة الإسبانية (بلجيكا) تقف عقبة في طريقه، لذلك يجب السيطرة عليها، وكان فيليب الرابع[١] Philip IV (١٦٠٥-١٦٦٥م) ملك إسبانيا عند وفاته عام ١٦٦٥م قد خلف الأراضي المنخفضة الإسبانية لابنه شارل الثاني (Charles II) من زوجته الثانية أراد لويس الرابع عشر أن يستغل هذا الموقف مستنداً إلى عرف قديم بتفضيل نقل الميراث لأبناء الزوجة الأولى على أبناء الزوجة الثانية، لأن زوجة لويس الرابع عشر ماري تريز[٢] Marie Therese (١٦٣٨-١٦٨٣م) ابنة فيليب الرابع من زوجته الأولى، ولهذا السبب ترث زوجته الأراضي المنخفضة بحق الوراثة ورفضت إسبانيا هذا القياس فأعلن لويس الرابع عشر حرب الوراثة الإسبانية[٣]، كما سوف يشرح البحث لاحقاً.

١- **حرب الأراضي المنخفضة الإسبانية (بلجيكا):** كان مسرح العمليات في أول الأمر هي حدود الأراضي المنخفضة عام ١٦٦٧م، ومع ذلك أرسلت فرنسا أحد أساطيلها إلى سواحل إسبانيا لمنعها من إرسال الإمدادات، وتم ذلك بمساعدة البرتغاليين، ثم امتدت الحرب إلى جزر الأنتيل وبينما كانت القوات الفرنسية تحقق الانتصارات بشكل سريع في الأراضي المنخفضة ظهر الخطر من قبل الأقاليم المتحدة (هولندا)، فالفرنسيون الذين سيطروا على القسم الأكبر من شمال الأراضي المنخفضة يقبعون في معسكراتهم الشتوية ينتظرون الأوامر باستمرار الزحف نحو بروج وجاند شمال غرب الأراضي المنخفضة، فطلب مجلس الأقاليم المتحدة من الملك الفرنسي تحديدات وضمانات بحجم التوسعات التي يريد تحقيقها، وتقاربت معها إنكلترا، واجتمعا في لاهاي عام ١٦٦٨م، واتفقتا أي إنكلترا وهولندا على القيام بعمل دبلوماسي سريع من خلال التدخل المشترك من الدولتين لدى الملك الفرنسي لإيقاف توسعاته، وتعرضان قيامهما بدور الوسيط لتحقيق الصلح بين فرنسا وإسبانيا، ثم انضمت السويد إلى هاتين الدولتين، فتشكل الحلف الثلاثي[٤]، أما الملك الفرنسي فقد كان يرفض فكرة تخويفه بهذا الحلف مستعداً لغزو فرانش كونتيه، فقد حاصرت قواته مدينة دول عاصمة الفرانش كونتيه واستولت عليها، وانتهت المقاومة الإسبانية في ثلاثة أسابيع، وفي نيسان ١٦٦٨م جرى التوقيع على مقدمات الصلح في سان جرمان، وقرر المجتمعون عقد مؤتمر من أجل السلام في إكس لاشابيل جنوب ألمانيا، فقد عقد هذا المؤتمر في الثاني من أيار ١٦٦٨م، ولم يناقش فيه مسألة حق الوراثة للملك التي اندلعت الحرب بسببها، ونصت المعاهدة على إعادة لويس الرابع عشر لفرانش كونتيه، وأن يحتفظ بجميع المواقع التي احتلها في عام ١٦٦٧م وكانت مع ليل عاصمة الفلاندر الفالونية، برج، فيرنيس، وآرمينتيير، وميننان، ودواي، وتورينه، وآت، وبينش، وأودينا رد، وشارلروا.[٥]

بعد توقيع معاهدة إكس لاشابيل وانسحاب فرنسا من إقليم الفرانش كونتيه، بدأ لويس الرابع عشر بالتفكير بالرد على الإهانة التي تعرضت لها فرنسا من هولندا، وذلك من خلال القضاء على الجمهوريين في أمستردام الذين

[١] ملك إسبانيا عرفت إسبانيا في عهده مزيداً من الانحطاط في ميادين الصناعة والتجارة، وخاضت حروباً خارجية ضد فرنسا وألمانيا وهولندا أدت إلى إفقارها. العلبكي، منير (١٩٩٢م)، مرجع سبق ذكره، ص٣٤٢.

[٢] أميرة إسبانية ابنة الملك فيليب الرابع تزوجها الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٦٠م، وعندما توفي فيليب الرابع ادعى لويس أن النذرلند الإسبانية قد آلت إليه من طريق هذا الزواج، وبذلك نشبت حرب الوراثة. البعلبكي، منير (١٩٩٢م)، ط١، مرجع سبق ذكره، ص٤٠٧.

[٣] ديورانت، وول (١٩٦٣م)، ج٣١، مرجع سبق ذكره، ص٦٩-٧٠.

[٤] راشد، زينب (٢٠٠٥م)، مرجع سبق ذكره، ص٢٠١.

[٥] يحيى، جلال (١٩٨٢م)، مرجع سبق ذكره، ص٤٧٥-٤٧٧.

وللمرة الأولى وقفوا حجر عثرة في وجه أطماعه الحربية في أوروبا، أما بالنسبة إلى إنكلترا والسويد فقد أدرك لويس الرابع عشر حاجتهم إلى المال، وقدرته بالسيطرة الاقتصادية على البلدين.[١]

٢- **الحرب الفرنسية الهولندية:** كانت توجد عدة أسباب دفعت لويس الرابع عشر لغزو هولندا وهي: اعتقاده بأنها كانت تقف خلف التحالف الثلاثي ضد بلاده في حرب الوراثة الإسبانية كما كانت تشكل ملجأ للفارين البروتستانت من فرنسا وطبعت لهم الكتب التي هاجموا فيها الحكومة الفرنسية ونظامها الديني، فضلاً عن المنافسة التجارية بين البلدين ، وكان لغناها وقوة أسطولها دور في وقف تقدم جيوش لويس الرابع عشر في أراضيها، ولم تكن إنكلترا وفرنسا تملكان مركز هولندا بسبب انشغالهم بالمسائل الداخلية لبلدانهم والمسائل الأوروبية.[٢]

كانت قوة هولندا ومواردها الاقتصادية سبباً في رغبة فرنسا وإنكلترا بالسيطرة على تلك الموارد، وقبل أن يبدأ بغزو هولندا قرر عزلها سياسياً عن حلفائها السويد وإنكلترا، لذلك تواصل مع ملك إنكلترا لإخراجه من الحلف الثلاثي، فقد كان تشارلز الثاني (١٦٣٠-١٦٨٥م) قد اعتنق الكاثوليكية سراً، ورأى في فرنسا حليفاً للتخلص من منافسة هولندا التجارية وتحطيم بحريتها واقتسامها مع فرنسا، فعقد بين فرنسا وإنكلترا اتفاقية دوفر السرية عام ١٦٧٠م، تعهد فيها تشارلز بإعادة الكاثوليكية إلى إنكلترا، كما تعهد بالاتحاد مع فرنسا ضد هولندا، وأن لا يقوم بعرقلة الخطط الفرنسية في إسبانيا، وبالمقابل تعهد لويس الرابع عشر بمنحه مبلغاً كبيراً من المال، وإمداده بقوات فرنسية عند الضرورة لفرض الكاثوليكية في إنكلترا، كما تمكن من شراء الموقف السويدي بالمال، وعقد معاهدة سرية مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة تقضي بضم إسبانيا إليها وحصول لويس الرابع عشر على المقاطعات الإسبانية في حال موت ملك إسبانيا دون تسمية وريث.[٣]

عبرت الجيوش الفرنسية في أيار من عام ١٦٧٢م نهر الراين واستولت في طريقها إلى أمستردام على الكثير من القلاع والحصون، عندها قامت ثورة في هولندا ضد الحاكم فأبعدته عن الحكم، وتم استدعاء وليم أمير أورونج[٤] William of Orange (١٦٥٠-١٧٠٢) لينقذ هولندا من هذه الظروف الصعبة، تمكن وليم أورانج من تكوين تحالف ضم فيه هولندا وإسبانيا وبراندنبرج (بروسيا)، وتعهدت الإمبراطورية الرومانية المقدسة بمقاومة طموحات لويس الرابع عشر، حتى الملك الإنكليزي تشارلز الثاني أجبره الرأي العام الإنكليزي على نقض تحالفه مع الملك الفرنسي، ليتحد مع أعضاء الحلف الجديد، لكن فرنسا كانت في مركز قوة بسبب انتصاراتها وتفوق قواتها، فوافقت على شروط صلح نيمجن Le traité de Nimègue ١٦٧٨-١٦٧٩م، والذي بمقتضاه حصلت فرنسا من إسبانيا على إقليم فرانش كونتيه، وكان نصيب فرنسا من هذا الصلح كبيراً، لذلك لقب الفرنسيون ملكهم لويس الرابع عشر بالعظيم، لكن الملك ومساعديه كانوا على علم بمدى ضعف فرنسا على حدودها الشرقية، أما بالنسبة إلى حدودها الشمالية فتمكن فوبان من بناء الحاجز الحديدي الذي صممه وساعده على تنفيذه انتصارات فرنسا وضمها مدناً ومناطق جديدة في هذه المنطقة، وكان هذا الحاجز عبارة عن قلاع تربطها قنوات ومجارٍ مائية، وقد أثبت هذا الحاجز قوته وصموده عندما تعرضت فرنسا للغزو من حدودها الشمالية.[٥]

---

[١] فيشر، هربرت (٢٠٠١م)، مرجع سبق ذكره، ص٣٠٧.

[٢] راشد، زينب (٢٠٠٥م)، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٢.

[٣] عمر، عبد العزيز (٢٠٠٠م) مرجع سبق ذكره، ص٢٧٠-٢٧١.

[٤] أمير النذرلند (١٦٧٢-١٧٠٢) وملك إنكلترا (١٦٨٩-١٧٠٢) دافع عن بلاده النذرلند في وجه الغزوات الفرنسية (١٦٧٢-١٦٧٨)، وفي عام ١٦٨٨م تولى عرش إنكلترا، موطداً سيادة البروتستانتية فيها. البعلبكي، منير (١٩٩٢م)، ط١، مرجع سبق ذكره، ص٤٩٧.

[٥] راشد، زينب (٢٠٠٥م)، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٢-٢٠٣.

٣- عصبة اوجز برج ومعاهدة روزيك: استغل لويس الرابع عشر انشغال الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام ١٦٨١م بحربها مع الدولة العثمانية، فاستولى على ستراسبورغ ولوكسمبورغ عام ١٦٨٤م، وخشي الإمبراطور من التوسعات الفرنسية لذلك دعى لتشكيل عصبة جديدة في أوروبا للحفاظ على وحدة الإمبراطورية الرومانية المقدسة دعيت بعصبة اوجز برج عام ١٦٨٦م مؤلفة من بعض الأمراء الألمان والسويد وإسبانيا، ولم يهتم لويس الرابع عشر بتشكيل هذه العصبة كونه يعول على حياد صديقه ملك إنكلترا، فأرسل الملك الفرنسي جيوشه لاحتلال إقليم بلاتينات (جنوب غرب ألمانيا) الراين الغنية، كونها لفرنسا، لكن الشعب الإنكليزي قام بثورة على الملك وعزله طالباً من حاكم هولندا وليم اورانج تولي العرش الإنكليزي عام ١٦٨٨م، مما أدى لخسارة لويس الرابع عشر حليفَه الملك الإنكليزي السابق، فانضمت إنكلترا إلى جانب أمستردام والعصبة ضد فرنسا، وبعد سنوات من القتال بين فرنسا والعصبة في أوروبا وأمريكا والهند (١٦٨٩-١٦٩٧م) اضطر لويس الرابع عشر لطلب عقد الصلح بين الطرفين، وجرى التوقيع على المعاهدة في مدينة روزيك الهولندية عام ١٦٩٧م وجاء في بنودها: أن يتخلى لويس الرابع عشر عن جميع ما استولى عليه من الأقاليم عدا ستراسبورغ، كما سمح لهولندا بوضع حامياتها في القلاع البلجيكية المتاخمة لفرنسا وتحصينها لتجنب الاعتداء الفرنسي، وأن تعقد معاهدة تجارية فرنسية هولندية، وتعترف الدول بأن إقليم اللورين فرنسي، وبالمقابل يعترف لويس الرابع عشر بعدم حقه في المطالبة بضم بلاتينيات الراين إلى فرنسا، وبوليم اورانج الملك الهولندي ملكاً على إنكلترا.[١]

إن معاهدة روزيك وضعت حداً للتفوق الفرنسي في أوروبا وأطاحت بأحلام لويس الرابع عشر وهيبة فرنسا عندما اضطر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر للتنازل عن المدن والأقاليم المهمة التي خاضت فرنسا الحرب من أجل الاستيلاء عليها وسقط خيرة الجنود الفرنسيين قتلى في سبيلها.

٤-حرب الوراثة الإسبانية: إن أهم أسباب مسارعة لويس الرابع عشر لعقد معاهدة روزيك هو التفرغ لمشكلة الوراثة في إسبانيا لأن ملك إسبانيا كان يحتضر، وكان هناك خلاف على وراثة عرش إسبانيا، فلويس الرابع عشر كان يطالب بوراثة حكم إسبانيا لابنه الأكبر من زوجته ماريا تريزا، وجوزيف فرديناند ملك بافاريا ادعى أحقيته بوراثة العرش، والإمبراطور ليوبولد الأول[٢] Leopold I (١٦٤٠- ١٧٠٥م) يدعي حق الوراثة لعرش إسبانيا لأسرة الهابسبورغ، فتدخلت إنكلترا في الحرب لأن هذه المسألة أصبحت دولية وتهدد التوازن الدولي الأوروبي، فعقدت إنكلترا معاهدة لاهاي عام ١٦٩٨م لتقسيم إسبانيا بين الثلاثة، لكن وفاة جوزيف فرديناند بعدها بعام خلط الأوراق وأدت وفاته إلى إعادة التوزيع مرة أخرى، لكن المشكلة هي أن شارل الثاني قد ترك وصية قبل وفاته في عام ١٧٠٠م يوصي فيها بأملاكه إلى حفيد لويس الرابع عشر فيليب آنجو لإنقاذ إسبانيا من التفكك ولتدافع فرنسا عن هذا الحق قبل لويس الرابع عشر هذه الوصية معلناً ملكية حفيده، مما شكل مكسباً سياسياً للويس الرابع عشر، وأعلن أن حقوق حفيده في فرنسا لا تسقط باعتلائه عرش إسبانيا. [٣]

---

[١] الزيدي، (مفيد)، ٢٠٠٩م، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (١٥٠٠-١٧٨٩م)،ج٢، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط٣، ٢٠٠٩م، ص٥٢٩-٥٣٠.

[٢] رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٦٥٨-١٧٠٥م) وملك هنغاريا (١٦٥٥-١٧٠٥م) وبوهيميا (١٦٥٦-١٧٠٥م) قاتل العثمانيين أثناء حصار فيينا عام ١٦٨٣م، وتمكنت قواته عام ١٦٩٩م من تحرير معظم الأراضي الهنغارية الخاضعة للحكم العثماني. البعلبكي، منير (١٩٩٢م)، ط١، مرجع سبق ذكره، ص٤٠٢.

[٣] أبو علية، عبد الفتاح (١٩٩٣م)، ط٣، مرجع سبق ذكره، ص١٨٧.

تجاهل لويس الرابع عشر معاهدة التقسيم التي وقعها مع إنكلترا وهولندا عام١٦٩٩م بسبب وصية شارل الثاني، ويعني ذلك امتداد النفوذ الفرنسي إلى حدود هولندا مهدداً المستعمرات الإنكليزية، مما دفع إنكلترا للقيام بحملة تعبئة الشعور الأوروبي ضد لويس الرابع عشر، ونجحت بإقامة الحلف الأعظم الذي ضم إنكلترا وهولندا والنمسا، ثم انضمت إليه البرتغال ودوقية سافوي الإيطالية ودوقية براندنبرج (بروسيا)، وبدأت الحرب في آذار ١٧٠٢م، وكان على الأطراف المتحاربة أن تدافع عن نفسها وعن مستعمراتها، فكانت حرباً طويلة وشاقة على فرنسا واستمرت حتى العام ١٧١٣م، فتوزعت ساحات المعارك بين إيطاليا والأراضي المنخفضة وألمانيا وأمريكا الشمالية، وقد حققت فرنسا بعض الانتصارات في العامين الأوليين من الحرب، وقد حقق التحالف الأعظم انتصارات متعددة على الفرنسيين، الذين بدأوا يعانون أزمةً مالية حادة أجبرتهم على الانسحاب من إيطاليا وأراضي الفلاندرز الفرنسية والأراضي المنخفضة ومن بعض المواقع الحدودية الحصينة، وكانت هزيمة فرنسا عام ١٧٠٩م في معركة مالبلاكيه وبالاً عليهم، أما بالنسبة إلى إسبانية حليفة فرنسا، فقد تمكن الإنكليز من الاستيلاء على جبل طارق واحتل النمساويون بالتعاون مع البرتغال برشلونة[١]، وتوالت الانتصارات على الجيش الفرنسي وكاد الحلفاء أن يدخلوا باريس لولا حدوث الانشقاق في صفوف الحلفاء فتغيرت الوزارة في إنكلترا عام١٧١٠م، وجاءت وزارة ميالة إلى السلم لأن الشعب الإنكليزي سأم الحرب، كما أن الإمبراطور جوزيف الأول[٢] Joseph I (١٦٧٨-١٧١١م) الذي خلف ليوبولد الأول عام ١٧٠٥م على رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة قد توفي عام ١٧١١م وارتقى العرش أخوه شارل السادس[٣] Charles VI (١٦٨٥-١٧٤٠م) الذي كان مرشح الحلفاء لعرش إسبانيا، فالحلفاء لم يرغبوا بتوحيد التاج الإسباني بالتاج النمساوي بالشدة نفسها التي رفضوا فيها اتحاد التاج الإسباني بالتاج الفرنسي حفاظاً على التوازن الدولي، فاضطرت الدول أن تعقد الصلح في مدينة أوترخت الهولندية عام ١٧١٣م[٤]، واضطر الإمبراطور إلى عقد الصلح في راستات في ٧ آذار ١٧١٤م، ثم لم تلبث أن انضمت إلى الصلح دويلات الإمبراطورية الرومانية المقدسة في صلح بادن في ٧أيلول ١٧١٤م، وبفضل معاهدات أوترخت وراستات وبادن ويطلق عليها جميعاً اسم صلح أوترخت peace of utrecht [١٧١٣-١٧١٤م] الذي أعاد السلام إلى أوروبا[٥]، وكان من أهم بنودها:

١-تثبيت فيليب حفيد لويس الرابع عشر ملكاً على إسبانيا وأملاكها الأمريكية مع مراعاة عدم الجمع بين عرشي فرنسا وإسبانيا في الحاضر والمستقبل.

٢- تثبيت سيطرة الإمبراطور الفرنسي على نابولي وسردانيا وميلانو والأراضي المنخفضة الإسبانية التي أصبحت تعرف باسم الأراضي المنخفضة النمساوية؛ واستثنيت من تلك الأراضي المنطقة الصغيرة المعروفة باسم

---

[١] الأدهمي، (محمد مظفر)، د.ت، تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة – الثورة الفرنسية القرون ١٦-١٨ ميلادية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، ص١٠٥-١٠٦.

[٢] ملك هنغاريا (١٦٨٧-١٧١١م) وملك ألمانيا (١٦٩٠-١٧١١م)، ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٧٠٥-١٧١١م) ابن الإمبراطور ليوبولد الأول وخليفته وفق في إخضاع ثورة نشبت في هنغاريا وإلى احتلال عدة مدن إيطالية، وحاول القيام ببعض الإصلاحات الداخلية. البعلبكي، منير (١٩٩٢م)، ط١، مرجع سبق ذكره، ص١٦٢.

[٣] رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٧١١-١٧٤٠م) أدت مطالبته بعرش إسبانيا إلى توريط الإمبراطورية بحرب الوراثة الإسبانية عمل على ارتقاء ابنته ماريا تريزا عرش النمسا من بعده، فكان ذلك سبباً في اندلاع حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠-١٧٤٨م). البعلبكي، منير (١٩٩٢م)، ط١، مرجع سبق ذكره، ص٢٥٥.

[٤] صالح، محمد (١٩٨١م)، مرجع سبق ذكره، ص٣٤٥.

[٥] عمر، (عبد العزيز عمر)، ٢٠٠٠م، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص٢٤٧-٢٤٨.

جلدرلند، وقد منحت أمير برندنبرج فريدريك الأول تعويضاً له لما تكبده من تضحيات في الحرب مع الاعتراف له أيضاً بلقب ملك بروسيا.

٣-تقاسم السيطرة على جبل طارق وجزيرة منورقة إنكلترا وإسبانيا، وتستولي إنكلترا مع إسبانيا من فرنسا على نيوفوندلاند ونوفاسكوشيا وخليج هدسن، ونالت من إسبانيا بعض الامتيازات التجارية في المستعمرات الإسبانية.[١]

الخاتمة:

بعد إعادة ترتيب الوضع الداخلي في فرنسا، وقيام لويس الرابع عشر بإصلاحات إدارية واقتصادية وعسكرية وغيرها تفرغ لتحقيق أحلامه التوسعية في أوروبا، مما دفع الدول الأوروبية لعقد المعاهدات والتحالفات ضد سياسات لويس الرابع عشر التوسعية، وعملت على تحجيم الدور الفرنسي في أوروبا وعودتها إلى حدودها الطبيعية والتنازل عن لأقاليم التي احتلتها في أوروبا.

أسهمت سياسة الاضطهاد الديني التي اتبعها مع البروتستانت وهجرتهم من فرنسا في خسارة جزء مهم من أمهر الصناع والتجار والفنانين من فرنسا مما أثر على اقتصادها فيما بعد، كما دفع طموح وغرور لويس الرابع عشر بأن يصبح سيد أوروبا المطلق لشن عدة حروب ضد الدول الأوروبية الأخرى التي سارعت إلى عقد التحالفات ضد فرنسا، فقد وحد أوروبا ضد سياسته التوسعية، والتي أجبرته في النهاية على توقيعه صلح أوترخت فلم يستطع لويس الرابع عشر أن يحقق حلمه في إعادة فرنسا لحدودها الطبيعية، بل خسر جزءاً منها لصالح الدول الأوروبية، وكانت إنكلترا، كما بين البحث هي المستفيد الأكبر من هذا الصلح فأصبحت سيدة البحار بسيطرتها على جبل طارق تجارياً وعسكرياً واستعمارياً والحكم في أوروبا.

المراجع:

- أبو علية (عبد الفتاح) و ياغي (اسماعيل أحمد)، ١٩٩٣م، *تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر*، دار المريخ للنشر، الرياض، ط٣.
- الأدهمي (محمد مظفر): *تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة – الثورة الفرنسية القرون ١٦-١٨ ميلادية*، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، د.ت.
- البطريق (عبد الحميد) ونوار (عبد العزيز)، ١٩٩٧م، *التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر*، دار الفكر العربي، القاهرة.
- البعلبكي (منير)، ١٩٩٢م، *معجم أعلام المورد*، دار العلم للملايين، بيروت، ط١.
- الجمهورية الفرنسية، ٢٠١١م، تقرير مفصل عن فرنسا.
- جودة (حسنين جودة)، ١٩٩٨م، *جغرافية أوروبا الإقليمية*، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ط١٥.
- ديورانت (وول وايريل)، ١٩٦٣م، *قصة الحضارة عصر لويس الرابع عشر ١٦٤٨-١٧١٥، الجزء الأول من المجلد الثامن*، ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة علي أدهم، دار الجيل، بيروت.
- راشد (زينب عصمت)، ٢٠٠٥م، *تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر*، ج١، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ريحاني (ألبرت)، ١٩٥٥م، *الموسوعة العربية*، دار الريحاني، بيروت، ط١.

[١] البطريق، عبد الحميد (١٩٩٧م)، مرجع سبق ذكره، ١٧٥-١٧٦.

– الزيدي (مفيد)، ٢٠٠٩م، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (١٥٠٠–١٧٨٩م)،ج٢، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط٣.

– صالح (محمد محمد)، ١٩٨١م، *تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠– ١٧٨٩*، جامعة بغداد، العراق.

– عمر (عبد العزيز عمر)، ١٩٩٢م، *دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

– عمر (عبد العزيز عمر)، ٢٠٠٠م، *التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث*، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

– فيشر (هربرت)، ٢٠٠١م، *أصول التاريخ الأوروبي الحديث– من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية*، ترجمة: زينب راشد وأحمد مصطفى، دائرة المعارف، مصر، ط٣.

– مخزوم (محمد)، ١٩٨٣م، *مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١.

– المقرحي (ميلاد)، ١٩٩٦م، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣–١٨٤٨م، جامعة قار يونس، بنغازي، ط١.

– نوار (عبد العزيز) وجمال الدين (محمود محمد)، ١٩٩٩م، *التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى*، دار الفكر العربي، القاهرة.

– يحيى (جلال)، ١٩٨١م، *التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى*، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨١م.

– يحيى (جلال)، ١٩٨٢م، *تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة*، دار المعارف، القاهرة.